

الأمثل في تفسير كتاب المنزل

[388] العمد قابلة للتوبة؟! لقد ردّ جمع من المفسّرين بالنفي صريحاً على هذا السؤال، وقالوا: أن هذه الجريمة التي ورد ذكرها في الآية موضوع البحث غير قابلة للتوبة مطلقاً، حيث أشارت الروايات الواردة في هذا الأمر إلى ذلك، فقد صرحت الروايات بأن لا توبة لقاتل المؤمن عمداً. ولكن الذي نستنتجه من روح التعاليم الإسلامية، وروايات الأئمّة (عليهم السلام)، وغيرهم من علماء الدين الكبار، وكذلك من فلسفة التوبة القائمة على أساس التربية والوقاية من الوقوع في الذنوب والخطايا في مستقبل الفرد المسلم... المستخلص من ذلك كله هو أنه لا يوجد ذنب غير قابل للتوبة، لكن التوبة من بعض الذنوب تكون مقيدة بشروط قاسية جداً يصعب بل يستحيل أحياناً على الفرد تحقيقها. والدليل على هذا الأمر هو قول القرآن الكريم: ((إِنْ آتَاكَ ذَنْبٌ فَأَسْرِ بِذُنُوبِهِ إِلَىٰ غَدٍ ذَا عَاقِبَةٍ)) [النساء: 47]. وقد قلنا في تفسير هذه الآية: إنّها وردت في شأن العفو عن الذنوب بواسطة الشفاعة وما شاكل ذلك، ولكن المعروف أنّّه حتى الشرك - ذاته - يعتبر من الجرائم والذنوب القابلة للتوبة، إذا تخطى الإنسان عنه وعاد فأمن بالله الواحد الأحد وأسلم وجهه، كما حصل للجاهليين الذين تخلوا عن شركهم وقبلوا الإسلام وتابوا إلى الله فعفا عنهم وغفر لهم ذنوبهم السابقة. ويتبيّن من هذا العرض الموجز أنّ كل الذنوب - حتى الشرك - قابلة للتوبة، وتؤكد على ذلك الآيتان (53 و54) من سورة الزمر حيث يقول تعالى: ((إِنْ يَدْرَأْكَ أَهْلُ بَيْتِكَ عَلَىٰ خِلَافٍ لِّمَا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ فَرَأَيْتَ إِنْ يَتَّبِعَكَ الْجُنُودُ لَوَالِيَهُمْ شُرَكَائِهِمْ فِي يَوْمٍ ذُو عِلَاقٍ يُضَاهَوْنَكَ وَيَحْلِفُونَ عَلَىٰ أَنَّهُمْ هَادِيُوكَ وَتُؤَدُّونَ لَهُمْ الْوُفَاةَ وَهُمْ يَعْتَدُونَ أَمَّا جَدُّكَ إِبْرَاهِيمُ إِذْ قَالَ لِلَّهِ عَبْدٌ فَلَا مِلَّةَ إِلَّا لَهُ فَذَكَرَ الْوَفَاةَ لَهُمْ فَانفَلَتْ أَوْدَانُهُمْ لَئَلَّامًا يَوْمَ الْعِقَابِ ذُوقُوا عَذَابَ الْوَقْدِ أَفَذَرْكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا)) [النساء: 47].